الباب الرابع

مصر فى عصر البطالمة

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

عصر القوة

• مصر بعد وفاة الإسكندر:

تشير الكثير من الدلائل إلى وجود علاقات متميزة بين مصر والعالم اليوناني منذ عصر الأسرة السابعة عشر، وقد شهدت هذه العلاقات تطورًا كبيرًا في عصر الأسرة السادسة والعشرين التي أسسها الملك أبسماتيك الأول حيث تردد التجار الإغريق (اليونان) على مصر بشكل ملفت للنظر، بل واستقر بعضهم في مصر وتحديدًا في مدينة الإسكندرية ذات الطابع اليوناني الخاص، كما أشار العديد من المؤرِّخين إلى عمل الإغريق كجنود مرتزقة في مصر بنسبة كبيرة، حتى قيل أن معظم جيش الملك أبسماتيك الذي اعتمد عليه في طرد الأشوريين من مصر، كان قوامه من الإغريق.

من ناحية أخرى، فإن الإسكندر قبل أن يرحل عن مصر في

obeikan.com

اتجاه رحلته شرقا، فقد عمل على تنظيم شئون مصر، ومنحها استقلالا داخليا،وجعل حكم الوادي ثنائيًا بين (بتيسيس)المصري و(دولواسبيس)الذي يبدو أنه كان أجنبيا أما الدلتا ومايجاورها فقد جعل حكمها أيضًا في يد اثنين هما: (أبولونيس بن خارينوس) و(كليومينيس النقراطيسي).[1]

وقد أدت وفاة الإسكندر المفاجئة بعد مغادرته لمصر مع عدم وجود وريث مناسب له إلى حدوث مشكلة كبيرة ترتب عليها عقد مؤتمر في بابل حضره قواد الإسكندر وانتهى المؤتمر إلى تقسيم إمبراطورية الإسكندر بين قواده، فكانت مصر من نصيب القائد (بطلميوس الأول) الذي أسس دولة البطالمة في مصر، والتي قاربت فترة حكمها من ثلاثة قرون، حمل كل ملوكها اسم بطلميوس.

• العصر البطلمي الأول (عصر القوة والازدهار):

قسم المؤرّخون دولة البطالمة إلى عصرين، هما:

1. العصر البطلمي الأول: وهو العصر الذي شهد قوة عسكرية وازدهار اقتصادي
2. العصر البطلمي الثاني: وهو عصر ضعف وانهيار انتهى بالاحتلال الروماني لمصر

1- محاضرات في تاريخ مصر في العصر البطلمي – ص-12 د.عودة عبد الواحد.

يبدأ العصر البطلمي الأول بالملك بطلميوس الأول مؤسس الدولة وينتهي بنهاية عصر بطلميوس الثالث، ذلك العصر الذي احتفظت فيه مصر بقوتها وحافظت على سياستها الداخلية المستقلة دون أي تدخل خارجي، وسنتناول أهم أعمال البطالمة الثلاثة الأوائل.

1- **بطلميوس الأول:**

هو بطلميوس بن لاجوس، من أقرب اصدقاء الإسكندر إليه، تربى معه في قصر أبيه الملك فيليب الثاني، وكان يكبر الإسكندر بعشر سنين، واشترك مع الإسكندر في حروبه وفتوحاته.

تولى بطلميوس الأول حكم مصر وفقا لما أقره مؤتمر بابل، ويبدو أنه أعتبرها غنيمة حرب أخذها بحد السيف فصارت ملكًا خاصًا له، لذا دخل العديد من الحروب وأقام العديد من التحالفات لضمان الحفاظ على مملكته.

اعتبر نفسه فرعونا الها كملوك الفراعنة، وتتبع خطاه كل ملوك البطالمة من بعده، كما أقاموا المعابد للألهة المصرية، واحترموها وقدسوها تقربًا للمصريين.وكما امتزجت الحضارة المصرية مع الحضارة الإغريقية امتزاجا نتج عنه حضارة لها شكل جديد عرفت بالحضارة الهللينستية، فقد امتزجت كذلك الديانة المصرية

مع الديانة اليونانية وخرجتا بعبادة جديدة عرفت بعبادة الاله (سيرابيس).

خلع لقب المنقذ (سوتير) على بطلميوس الاول، ويبدو أن هذا اللقب منح له بعد وفاته وليس في حياته، وقد اهتم بطلميوس الأول بالمشروعات الاقتصادية في كافة المجالات وأدخل العديد من الاصلاحات في الزراعة والصناعة، واهتم كذلك باصدار التشريعات التي تخدم الحركة التجارية، وكذلك إقامة الأسواق والموانئ التجارية حتى أصبحت الإسكندرية في عصر البطالمة من أهم الموانئ ان لم تكن أهمها في حوض المتوسط.

اهتم بطلميوس الأول بالجانب العلمي والثقافي فأقام أول دار للعلم في العالم القديم وعرفت بجامعة الإسكندرية والتي كان لها دورا مهما في تخريج علماء عظام أسهموا بعلمهم في خدمة البشرية، منهم:

- أرشميدس: الذي توصل إلى قانون الطفو.
- اقليدس: الذي وضع أصول علم الهندسة.
- بطلميوس: أحد أشهر علماء الجغرافيا.
- مانيتون: المؤرِّخ الذي قسم تاريخ الفراعنة إلى ثلاثين أسرة.

ولخدمة الجامعة وطلابها، قام بطلميوس الأول بتشييد مكتبة

الإسكندرية وهي أول مكتبة حكومية في العالم القديم، وأمدها بالمخطوطات وأمهات الكتب التي قدرت أعدادها بأكثر من نصف مليون كتاب ومخطوطة بمختلف لغات العالم القديم، ولكن للأسف دمرت هذه المكتبة في أواخر عصر البطالمة وتحديدًا سنة 48ق.م.

شرع بطلميوس الأول في بناء منارة الإسكندرية والتي أعتبرت واحدة من عجائب العالم القديم، وكان الغرض منها ارشاد السفن القادمة إلى ميناء الإسكندرية، ويقال أن أضوائها كانت ترى من مسافة 50كم داخل البحر المتوسط.

كان له السبق في ضرب أول عملة معدنية، وإدخال أصناف جديدة من الفاكهة وسلالات جديدة من الحيوانات لم تكن معروفة في مصر قبل البطالمة، وأبقى بطلميوس الأول ومن خلفه من ملوك البطالمة على الإسكندرية عاصمة سياسية للبلاد، وتُوفي بطلميوس الأول في 283ق.م.، وخلفه بطلميوس الثاني.

2- **بطلميوس الثاني:**

انفرد بطلميوس الثاني بالحكم بعد وفاة أبيه بطلميوس الأول، ولم يكن قد تجاوز الخامسة والعشرين من عمره، وحمل في كتب التاريخ لقب (فيلاد لفوس) والذي يعني المحب لأخته، وقد كان

تربية قصور، رقيق، لم يخرج على رأس الجيش مثل أبيه.

تتلمذ على يد علماء أجلاء أمثال الفيلسوف (أستراتون) والشاعر (فيلتاس)، فنشأ مثقفًا مولعًا بالتاريخ والجغرافيا، وأقام حديقة حيوان في الإسكندرية، كما اهتم بمكتبة دار العلم في الإسكندرية التي أرسى أساسها أبوه، وأنشأ مكتبة السيرابيوم.

3- **بطلميوس الثالث:**

تولى العرش عام 246ق.م. بعد وفاة أبيه، ويبدو أنه كان يحمل من صفات الطيبة والخير الكثير، حتى أطلق عليه لقب (يورجيتيس) والذي يعني الخير، وكما كان أبوه فقد نشأ هو كذلك مثقفًا لبقًا يجيد الخطابة حيث تتلمذ على يد الشاعر (أبولونيوس الروديسي)، وقد عمل على إصلاح التقويم.

توفي 221ق.م.، وبوفاته ينتهي العصر البطلمي الأول، وبتولي بطلميوس الرابع تدخل مصر مرحلة جديدة في العصر الثاني للبطالمة، شهدت فيه مصر تدهورًا ملحوظًا في كافة المجالات بالإضافة إلى تدخل روما في شئونها الداخلية.

الفصل الثانى

عصر الضعف والإنهيار

منذ تولي بطلميوس الرابع حكم مصر بدأ منحنى قوة دولة البطالمة في الهبوط تدريجيا حتى وصل إلى أدنى مستوياته زمن كليوباترا السابعة أخر ملوك البطالمة والتي شهد عصرها احتلال الرومان لمصر.

لم يسهم ملوك البطالمة في هذا العصر بإسهامات ملحوظة، ويبدو أن كليوباترا السابعة هي أشهرهم لذا سنتناول نبذة عن فترة حكمها لمصر، وقبل ذلك يجب أن نجيب على هذا السؤال، ما هي أسباب الضعف الذي دب في أركان دولة البطالمة مما جعلها تفقد سيطرتها في الداخل والخارج، وتتراجع في كافة المجالات ؟

obeikan.com

يمكن أن نلخص أسباب ضعف وسقوط دولة البطالمة في أربعة نقاط مهمة، وهي:

1. من الجلي أن ملوك البطالمة في العصر البطلمي الثاني، لم يكن أحدهم يملك من القوة ورجاحة العقل وحسن التصرف شيئًا مما كان عند سابقيهم من ملوك العصر البطلمي الأول.
2. زادت ثورات الشعب المصري الذي حرم من المشاركة في حكم بلاده، إذ اقتصرت الوظائف المهمة في الدولة على الإغريق.
3. تراجع المشروعات الاقتصادية، وعدم الاهتمام بالحياة العلمية
4. زيادة نفوذ روما وتدخلها في الشئون الداخلية لمصر، بحكم أنها القوة العظمى في العالم أنذاك، خاصة بعد تراجع قوة دولة البطالمة وخضوع ملوكها لروما خشية غضب أباطرة الرومان عليهم.

• كليو باترا السابعة (51ق.م.-30ق.م.)**:**

بعد وفاة بطلميوس الثاني عشر والذي عرف ب (الزمار) خلفه بنتين وولدين، كانت كليوباترا السابعة أكبرهم، وأوصى الزمار بأن يتزوج أكبر ابنيه من كليو باترا ويتوليان العرش سويًا، وكان زواج الأخوة شائعًا عند ملوك البطالمة للحفاظ على نقاء الدم الملكي على حسب زعمهم.

على أي حال، حاول أبناء الزمار انعاش دولتهم، وفي المقابل

كانت الحرب الأهلية في روما على أشدها، تلك الحرب التي اكتوى بنارها حوض البحر المتوسط بمجمله.

كانت كليوباترا من طراز الأميرات المقدونيات اللائي عشقن الحكم والمجد، ولا تتورع في التضحية في سبيله بكل رخيص وغال، كانت تتمتع بجمال وافر وجاذبية لاتقاوم ولسان زلف طري، واتخذت لقب ايزيس الجديدة.[1]

استغلت كليوباترا انتصار قيصر في الحرب الأهلية في روما، وقدومه إلى الإسكندرية، ورمت شباكها حوله حتى تزوجته وانجبت له ولدًا أطلق عليه اسم قيصر، وكناه السكندريون (قيصرون).

يبدو من ذلك أن كليو باترا لم تكن تهدف إلى الانفراد بحكم مصر فقط، بل طمحت في أن تشارك قيصر حكم روما وإمبراطوريتها الواسعة، ولم لا ؟ فقد استطاعت أن تربط اسمها باسم أقوى رجل في العالم حينئذ، يوليوس قيصر.

ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، حيث قتل يوليوس قيصر، وبمقتله انقسم العالم الروماني إلى فريقين: فريق بزعامة ماركوس أنطونيوس و فريق بزعامة أوكتافيوس.

1- د.عودة عبد الواحد – المرجع السابق – ص78

شهدت الأحداث تطورًا سريعًا أدت إلى تقسيم الإمبراطورية الرومانية بين القائدين، حيث حكم أوكتافيوس القسم الغربي من الإمبراطورية، بينما ذهب حكم القسم الشرقي منها إلى أنطونيوس.

عادت كليو باترا لساحة الأحداث من جديد، لعلها تجد في أحد القائدين يوليوس قيصر جديد، وبالفعل استمالت أنطونيوس، وانجبت منه توأم هما (هليوس – سيليني)، هذا في الوقت الذي شهدت فيه العلاقة بين أنطونيوس وأوكتافيوس المزيد من التوتر وكان السبب الرئيس في هذا التوتر هو اهداء أنطونيوس بعض الأراضي التي فتحها في الشرق إلى كليوباترا وأبنائها، الأمر الذي اعتبره أوكتافيوس وفريقه اهانة للدولة الرومانية.

على أي حال، نشبت العديد من المعارك بين أنطونيوس المدعوم من كليوباترا من جهة، وفي المقابل أوكتافيوس، إلَّا أن أهم هذه المعارك وأشهرها هي معركة أكتيوم البحرية قرب سواحل بلاد اليونان.

نال أسطول أنطونيوس والمدعوم بالأسطول البطلمي هزيمة ساحقة في أكتيوم سنة31ق.م. أمام أسطول أوكتافيوس، ولم يكن أمام أنطونيوس وكليوباترا إلَّا الفرار في اتجاه الإسكندرية.

تعقب أوكتافيوس كل من انطونيوس وكليوباترا إلى الإسكندرية، وقد تيقنا تماما أنهم في عداد الأسرى أو القتلى، فلا قبل لهما الآن بأوكتافيوس الذي دمر لهما معظم السفن في البحر، كما أعلنت بعض قوات أنطونيوس ولائها إلى أوكتافيوس.

لذا، فضل أنطونيوس الانتحار على أن يقع أسيرا في يد عدوه، ويقال أنه قام ببقر أمعائه بخنجره، ولحقت به كليوباترا والتي تعددت محاولاتها للانتحار وكانت تمنع في كل مرة، إلَّا أنها تمكنت من ذلك في النهاية بواسطة ثعبان الكوبرا حتى تموت موتة ملكية كما أرادت وتمنت.

وفي عام 30ق.م. كان أوكتافيوس قد أحكم سيطرته على مصر كلها معلنًا بذلك انتهاء عصر البطالمة، وتحولت مصر إلى مجرد ولاية رومانية، ولكن كان لها مكانة خاصة عند الرومان.

obeikan.com